أثر مرقد الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)

في نمو الوعي الفكري والسياسي

د.عدي حاتم عبد الزهرة ألمفرجي

قسم التاريخ – كلية التربية جامعة كربلاء

المقدمة:

كان للعتبات المقدسة في العراق ذو اثراً فكرياً سياسياً . فقد يتبادر الى ذهن القارئ ان دور هذه العتبات ما هو الا للعبادة وصلة وصل مع الله عز وجل ،ولكن فيما مضى كان هذا الدور ووظائف أخرى ساعدت على النمو الفكري الاجتماعي السياسي ،لأنه مكان لا يقبل به الغش والخداع وبالتالي اجتمعت حوله جميع الأنشطة الفكرية بما فيها الأدبية والصحفية والحزبية بل كان ملتقى النشطاء على اختلاف انتمائهم الفكري، فعندما تنضج الاراء لتأسيس حزب ما يعقد اجتماعه الاول في الصحن الحيدري الشريف وبنية صادقة ومتضامنة تنتهي بتأسيس هذا الحزب بقسم اعضائه بمنزلة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) على الوحدة والتضامن والعمل الجماعي .

ومارست المرجعية الدينية اغلب أنشطتها من التدريس والفتيا والعبادات وقضاء شؤون الناس والاحتفالات والمناسبات الدينية بل مارست نشاطها السياسي من على عتبة هذا المكان الطاهر، ولا يعتقد البعض ان هذه الممارسة خاصة بالعراق دون غيره بل لعدد من بلدان العالم ، فعلى سبيل المثال كان لمرجعية ابو الحسن الموسوي الاصفهاني دوراً في دعم رضا بهلوي للعرش الايراني وبخاصة الاجتماعات التي جمعتهم في هذا المرقد المقدس والتي انتهت بقسم بهلوي بحق الامام علي (عليه السلام) على خدمة الاسلام واهله في حال استلامه العرش الايراني.

والدوافع التي دفعت الباحث للكتابة بهذا الموضوع ترجع إلى أسباب عدة وهي حباً ووفاءً لصاحب هذا المكان المقدس والتحجيم الذي مارسته السلطات الزمنية على هذا المكان لكبح الأنشطة التي تعقد في زواياه وجعله ذو وظيفة واحدة وهي العبادة حصراً لا غيرها ،فضلا عن ذلك ندرة الكتابات عن

وظائفه الاجتماعية السياسية بل اغلب المصادر تغفل دور هذا المكان الشريف عندما تصل الى عتباته لدوافع شعورية او لاشعورية نابعة من صميم اولئك الباحثين ،والدافع الاخر الاهمال المتوصل بهذا المكان وقلة خدماته ومؤسساته ومكاتبه وموظفيه وخدامه وضيق مساحته وعدم تجديد أبنيته التي لا تتناسب مع منزلة هذا المكان ودوره الحضاري ،ولذا اصبح عرض هذا الموضوع فرضتها الحاجة الاكاديمية على اقل تقدير لبيان منزلته وأثاره المباشرة فى تنمية العقل العراقي .

أولا:الأثر الفكري السياسي للمرقد العلوي

كان (للصحن الحيدري الشريف) أثر اجتماعي ساعد على بلورة وعي ثقافي سياسي لدى أبناء المجتمع العراقي حتى الثلاثون الأخيرة من القرن الماضي، ففي هذا المكان كان الناس وعلى اختلاف مشاربهم الفكرية وانتمائهم الاجتماعي يتحلقون للنهل من معينه، فهنا وهناك تقف حلقة التجار والنجارين والحدادين والحيكة والنقاشين الى طلبة العلوم ثم الأدباء،بل كان موقعاً رئيسياً لتعليم طلبة العلوم الدينية اذكان معظم مجالس العلماء ومنهم (السيد محمد سعيد الحبوبي) في ثلاثة أماكن الأول(في داره والثاني في إحدى حجرات الصحن الحيدري الشريف، والثالث في مكان مشرف على بحر النجف وهو سطح قبة اليماني (جامع صافي صفا)) ولا يختص التجمع الاجتماعي على الرجال فحسب، فللنساء مكان يجتمعن فيه للمناقشة، وهذا المزيج له دور في تنمية الفكر عند الفرد بسبب الحوار والنقاش الدائر التي تصب على القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وبخاصة بعد سماعهم إخبار معظم المدن العراقية عن طريق الجنائز القادمة لمدينة النجف الأشرف والتي تزور الإمام قبل ان تدفن، وهؤلاء الجنازون ينقلون إخبار مدنهم، ولا يقتصر الأمر عليهم فحسب بل الزوار القادمين لزيارة قبر الإمام وبخاصة اذا كانوا من الأجانب، فهؤلاء الزائرون ينقلون الأخبار والحوادث(١).

ولهذا المكان المبارك ايضاً أثراً في تنوير العقول بسبب تجمع السياسيين على اختلاف اتجاهاتهم ،بل ومزاولة نشاطهم من تخطيط لعقد حزب أو تظاهرة أو اتخاذ قرار أو الخطب السياسية، فأصبح المكان بمثابة منتدى ثقافي يعليه روح التفاهم والوئام.بل كان منبراً اصلاحياً لعموم العراقيين فبسبب ظهور إعمال صبيانية في أيام الأعياد الدينية ولجهلهم كانت تسئ للمجتمع والذوق العام من ضرب المفرقعات النارية الى التعرض للناس من الاهانة وتلوث ثيابهم بالاصباغ بحجة الاحتفال حتى تصدى(المصلح الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء) لهذه الاعمال وامرهم بتركها ، واستعمل وسيلة المنبر في(الصحن الحيدري الشريف) لدعواه واخذ يعظ الناس فكان لوعظه الأثر البالغ اذ قلت تلك الاعمال واصلح حال الشباب، والسؤال الذي يطرح نفسه عن سبب استخدام هذا المصلح لمنبر الصحن الحيدري الشريف دون غيره من المنابر وجواب ذلك انه اراد بدعواه الوصول الى العراقيين كافة من جهة وان تأخذ قوة ورصانة لانها خرجت من عتبة هذا الصحن من جهة اخرى(٢).

وكان (الصحن الحيدري الشريف)مركزاً سياسي تعبوي في اقامة الاحتفالات السياسية فعلى سبيل المثال اقيم بمناسبة زيارة موفد حزب الاتحاد والترقي(ثريا بك) احتفال ومهرجان من الشعر على الرغم من الغاية من مقدمة لفتح بناية فرع لحزب الاتحاد والترقي في مدينة النجف عام ١٩٠٨ ، وايضاً الاحتفالات والمظاهرات الصاخبة عند سماع انباء خلع الشاه الايراني محمد علي القاجاري سنة ١٩٠٩ وغيرها من الاحتفالات والاجتماعات والمظاهرات التي كانت تقام في الصحن الحيدري ومنها مظاهرات في ١ كانون الأول عام ١٩٥٥ضد الضرائب الحكومية(٣).

وشهد (الصحن الحيدري الشريف) مواقف خالدة لنصرة مصر ضد العدوان الثلاثي . فعند أعلان الرئيس المصري (جمال عبد الناصر) تأميم قناة السويس في ٢٦ تموز١٩٥٦،ساند العراقيون ،وعلى اختلاف تياراتهم هذا الخطوة يوم ١٦ آب ١٩٥٦.وعلى اثر ذلك التأميم تعرضت مصر الى هجوم عسكري في ٢٩تشرين الأول من العام نفسه، من قبل(بريطانيا وفرنسا وإسرائيل) فخرج يوم ١٢ تشرين الثاني ١٩٥٦ العشرات من اهالي النجف من النساء والرجال ، لاسيما بعد سماعهم من إذاعتي (القاهرة ودمشق)بأن الطائرات البريطانية تتزود بالوقود من قاعدتي الشعيبة والحبانية،وتجمعوا في (الصحن الحيدري الشريف) والصلاة ظهرا"، ثم الدعاء الجماعي، والابتهال إلى الله تعالى لينصر مصر،وردد احد الخطباء دعاء النصر والفرج، من على منبر(الصحن الحيدري الشريف) حتى هاجت مشاعر الناس،ولمواصلة اسلوب الاحتجاج قامت المراجع الدينية السيد(محسن الحكيم) والسيد (محمود الشاهرودي) والسيد (حسين الحمامي) فضلا عن رجل الدين الشيخ (عبد الكريم الجزائري) بالامتناع عن أداء صلاة الجماعة في مساجد النجف الاشرف بما فيها (الصحن الحيدري الشريف) كموقف لنصرة مصر، ليكون إضراباً شاملاً للحياة في المدينة ، فُأغلقت المحال التجارية وعطلت الدروس الحوزوية ، والنظم التعليمية المرتبطة بها كمنتدى النشر(٤).

وابرقوا إلى الملك (فيصل الثاني) برقيات شجبت أعمال القتل والتنكيل فقد جاء في برقية السيد(محسن الحكيم) : ((بسم الله الرحمن الرحيم ،إن إراقة الدماء البريئة بشكلها الوحشي الفظيع في بلدنا المقدس لتدعوا الى القلق والاستنكار العظيمين، ومن المؤسف إغضاء الحكومة عن ذلك كله ، وسلوكها طريق الإرهاب لعموم الطبقات)) (٥).

أما برقية الشيخ (عبد الكريم الجزائري) فجاء فيها : ((بسم الله الرحمن الرحيم، جلالة الملك المعظم ، حالة النجف مضطربة لإراقة دماء الأطفال داخل مدارسهم وهتك حرماتها، ولا تهدأ إلا بإنزال العقوبات الشديدة بالمعتدين، عالجوا الوضع بالحل السريع قبل ان يتفاقم الأمر))(٦).

في حين أطلق السيد (حسين بحر العلوم) قصيدة بعنوان (كبش الفداء) احتج فيها على الاعتداء على الطلبة وقتلهم ، وهي من القصائد التي ألهبت المشاعر النجفية ، جاء فيها :-

يا طفل يا كبش الفداء للمجد في سوح الاباء

يا نبرة الناي الطروب تهشمت بفم الرثاء(٧).

وقد تميزت مظاهرات يوم ٢٥ تشرين الثاني ١٩٥٦، بمشاركة متظاهرين من الأرياف،والقرى المحيطة بمدينة النجف الاشرف (المشخاب وابو صخير وغماس والشامية) وحتى من الديوانية والحلة ، بالتجمع في (الصحن الحيدري الشريف) مرددين القسم بمواصلة الكفاح حتى سقوط وزارة (نوري السعيد) ، وهي الطريقة التي أثمرت في اليوم التالي المصادف ٢٦ تشرين الثاني ١٩٥٦.فقد خرج متظاهرون يحملون ثياب الشباب المقتولين في الاحتجاجات واقسم المتظاهرون أمام مرقد الإمام (علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ثم اتجهوا الى ناحية مدينة كربلاء المقدسة ليقسموا بالإمام الحسين بن علي (عليه السلام) بالقضاء على (نوري السعيد) ثم تعززت بتظاهرة للإسلاميين السياسيين يتقدمها المرجع الديني السيد(محسن الحكيم) والشيخ (عبد الكريم الجزائري) (٨).

وفي يوم ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥٦ خطب الشيخ (علي محمد رضا كاشف الغطاء) في (الصحن الحيدري الشريف) ، ودعا الى التظاهر، وندد في خطبته بسياسة الحكومة السلبية من العدوان على مصر، ولم يقتصر أصداء هذا البيان على اهالي النجف فحسب ، بل تعداه الى عشائر الفرات الاوسط الذين استجابوا لندائه، علما ان التيارات العلمانية قد طبعت تلك الخطبة ،ووزعتها على المجتمع النجفي والمناطق المجاورة للمدينة ، وأثمرت جهودهم ، وبلغ الحشد الجماهيري عشرون ألف متظاهر في(الصحن الحيدري الشريف)وحوله ، وفي عصر ذلك اليوم ، خرجوا متظاهرين باتجاه السوق الكبير ثم الميدان، وقد حاولت الحكومة بوساطة بياناتها التهدئة وتحذير المتظاهرين ، فكان هذا البيان الحكومي بمثابة نصر سياسي للمتظاهرين ، لدلالته على ضعف السلطة في المدينة وعجزها ، الأمر الذي شجع المتظاهرون في اليوم التالي المصادف ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٦، على قيادة تظاهرة كبرى وسط المدينة (٩).

وحتى كانت الصلاة في (الصحن الحيدري الشريف) تعبيراً سياسياً فعند استجابة الحكومة لمطالب المتظاهرين خرج المرجع الديني (السيد محسن الحكيم) للصلاة الجماعية كدليل على انفراج الازمة ،وبذلك عبر (الصحن الحيدري الشريف) عن وحدة المظاهرة ،فضلا عن التنسيق في خروج تلك المظاهرات ، إي الخروج من الإحياء النجفية إلى التجمع في(الصحن الحيدري الشريف) ومن ثم الانطلاق بتلك التظاهرات الموحدة بأتجاه السوق الكبير للوصول إلى ساحة الميدان ، والدوران حوله ، ثم الرجوع من الطريق نفسه باتجاه ساحة الميدان(١٠).

ولذا كان هذا المركز الحيوي الديني مثار صراع بين القوى الاسلامية من جهة والعلمانيون من جهة ثانية بسبب معرفة دوره في تحشيد الناس والمطالبة السياسية وبذلك فقد بدأ الصراع بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وتأسيس العهد الجمهوري ،بمشكلة من يمتلك السيطرة على (الصحن الحيدري الشريف) ووصلت المشكلة للسلطة في المدينة،ومحافظ لواء كربلاء المقدسة (فؤاد عارف)(١١).

ولذا فالظاهر ان ظهور الوعي الفكري السياسي خرج من رحم هذا المكان المقدس.فتأسيس الجمعيات في مدينة النجف الأشرف قد خرجت من باب(الصحن الحيدري) فكان لهذا المكان فضل واسع على الحياة السياسية في العراق ومنبر فكري ساعد على بلورة وعي سياسي، وهذه الجمعيات والنوادي السياسية والأدبية والاجتماعية وان اختلفت في المسالك وتباينت في المناهج والاتجاهات، فان لها غرضا واحداً يتمثل في خدمة الناس، وبناء كيان الأمة ورفع شأن البلد والنهوض به إلى المستوى الذي يجعل من أبنائه أدوات للإصلاح نافعة لمجتمعهم، كل في مجال عمله ،ليتسنى للأمة ان تحصل على ما ترومه من تقدم ومنزلة سامية تتوخى الوصول إليها، والمدة ما بين ١٩٠٥ وحتى الحرب العالمية الأولى ظهرت(نقابة الإصلاح العلمي) عام ١٩٠٥ وغرضها إصلاح مسائل الدراسة وتقويم الجامعة الدينية وإصلاحها و(جمعية الاتحاد والترقي) و(جمعية إخوان الصفا) عام ١٩٠٨ وهدفها الإصلاح ونشر الثقافة بين المجتمع النجفي و(الهيأة العلمية) عام ١٩٠٨ وهي تدعم الأفكار الدستورية وتنشيط العلوم،وفي ثنايا الحرب العالمية الاولى ظهرت (جمعية النهضة الإسلامية) أسست أواخر ١٩١٧ وإعمالها ضد الاحتلال البريطاني(١٢).

وظهر تنظيم (شباب العقيدة والأيمان) في أوائل خمسينات القرن الماضي ،وهو من التنظيمات الإسلامية السياسية، أسسها (السيد محمد علي المرعبي) الذي شجع بهذا التنظيم على بث روح الثقافة العامة بين الناس، واتخذ من (الصحن الحيدري الشريف) مركزا" لنشاطه(١٣).

والجدير بالذكر كانت ابواب (الصحن الحيدري الشريف) منبراً اعلامياً .اذ كانت النشرات تلصق على ابوابه بل حتى على جدرانه(١٤).

ثانيا:المرقد العلوي سبب في ظهور مدينة النجف وثرائها الفكري

امتازت النجف منذ تأسيسها بطابع خاص ، وهو طابع القدسية والاحترام . والأسباب الرئيسة لانطباعها بهذا الطابع هو وجود مرقد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي افرز المرجعية الدينية . فللمرقد العلوي الشريف في مدينة النجف دور مؤثر في مكانة المدينة ، فكان زائريه دور في زيادة الوعي الفكري السياسي لانهم من الشعراء والأدباء والمثقفين الذين كانوا ينظمون لهم القصائد ، وخاصة الزائر من الأمراء والملوك ، ولهذا الأمر دور في تنمية الوعي السياسي لدى شعراء النجف ومفكريها .وكانت المجالس العلمية بمثابة بيوت عامرة لمختلف الطبقات يجد فيها العالم ما يلتذ بها ، والأديب ما يشبع رغبته ، وذو الحاجة ما يسد به حاجته وبخاصة اذا حضر احد اولئك الزائرين(١٥).

فظهرت أهمية تاريخية لمدينة النجف الأشرف من التشرف بوجود قبر الأمام(علي بن أبي طالب) (عليه السلام) والتي أضافت قدسية دينية وأهمية حضارية رائدة في العراق بشكل عام، ثم(المرجعية الدينية) التي تعد امتداداً لخط الإمامة، وحل المشاكل الشرعية بالنيابة عن الإمام المعصوم، وهي الأهمية التي مكنت (المرجعية) من قيادة الشيعة لا في العراق فحسب، بل وفي بلدان العالم

الإسلامي وبخاصة بعد تبني المؤسسة التعليمية وهي (الحوزة العلمية) احتضان طلاب العلوم الشرعية من تلك البلدان الذين وجدوا ان الدراسة بجوار مرقد الامام علي بن ابي طالب مبارك وعاملاً نفسي مشجع على العلم والتعلم .ولذا تعدى نطاق الهجرة غير العراقيين أيضا ، فمن الدول الأجنبية التي يأتي طلابها إلى مدينة النجف " إيران والهند وأذربيجان والقوقاز " ، والعربية " لبنان وسوريا واليمن وبعض مناطق الخليج العربي كـ (السعودية ، البحرين ، عمان) " ، وكان هؤلاء الطلبة يأتون بثرواتهم المادية ، والأدبية والفكرية . وأهمها أمهات الكتب المخطوطة في الفلسفة والرياضيات والأدب والفلك والتاريخ والسياسة . إضافة الى ان أفكارهم وثقافتهم وعادات وتقاليد بلدانهم كان لها دور في تنبيه الفكر، واتقاده، وتنوعه في ربوع الأوساط النجف ، حتى أنها وصفت بـ المدينة التي اجتمع فيها العالم وهذا الامر راجع الى المرقد العلوي الطاهر(١٦) .

بل قام اغلب اولئك الطلبة بالاستقراروتشجيع عوائلهم للانتقال والسكن في النجف وبالتالي كان لهذا الأمر أهمية تاريخية لهذه المدينة المقدسة. يتمثل في الهجرة الأجنبية إليها، أما لطلب العلم أو الرزق أو التبرك، ولهذه الهجرة فضل على الساحة الثقافية الفكرية والسياسية، اذ تعلم النجفيون لغات المهاجرين وبالعكس، ونقل المهاجرون تراثهم العلمي وثقافاتهم التي زادت المدارك العلمية عند الاهالي وبالتالي انعكس على تطورهم الثقافي، أما فضلهم على الساحة الاجتماعية فقد أخذت مساحات من الأراضي الخالية من العمران إن تصبح مأهولة واتسعت المرافق العلمية، وبخاصة المدارس التعليمية التي تبرع بها محسنوا دول اولئك المهاجرين في بنائها، وبفضل تلك الهجرة انتعش وضع المدينة الاقتصادي وبخاصة بعد ان حمل المهاجرون أموالهم وصناعاتهم وخيراتهم، فجاء بالإضافة إلى طلاب العلم (المعمار والبناء والنجار والعطار والجزار) للعمل في ربوع المدينة التي سميت (مدينة الوافدين) (١٧).

والجدير بالذكر تعرض المرقد العلوي الطاهر الى خطر التهديد بالهدم من قبل الحركة الوهابية عام ١٨٠٦ وتصدى العراقيون ببسالة ومنع الغزو، وكان لهذا الامر اثارة العقل عن ماهية هذه الحركة، ومعرفتها وبيان أغراضها ،إلى ظهور مظهر اجتماعي سياسي وهو توحيد المقاومة بين العراقيين وبخاصة العشائر المحيطة بمدينة النجف وبخاصة، وهي الجهود التي أثمرت فأوقفت تلك الحملات الغازية من التوغل إلى العراق عن طريق مدينة النجف الأشرف التي كانت بمثابة مفتاح للفرات الأوسط(١٨).

كانت الحلقات الدراسية تتحلق هنا وهنا في (الصحن الحيدري الشريف) رغم ان طلبتها من عدة لمدارس دينية مختلفة،فكان لهذا المكان المقدس منبراً علمياً مؤثر في الوعي الفكري والثقافي، وكان الطلبة لا يتوانون عن حضور بعض حلقات الدرس في (الصحن الحيدري الشريف) أو في بعض الجوامع مثل (جامع الهندي) ولهما الفضل في صقل المعارف عند الطلبة ،وكان الإنفاق على هذه المدارس يتم من قبل بعض أهل الخير ومن العلماء والمجتهدين الذين تردهم أموال الخمس والزكاة

والهبات والتبرعات التي يقدمها المحسنون، وليس للحكومة أية صلة بتلك المدارس.وهو دليل على استقلالية تحصيل العلوم في مدينة النجف الاشرف(١٩).

والمدارس الدينية تقسم بدورها إلى قسمين الأولى وهي (القديمة) والثانية إلى (الحديثة) فالقديمة تبدأ مع تأسيس (مدرسة المقداد السيوري) عام ١٤٢٣م ومدرسة (الغروية) في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي و(الصدر) في عام ١٨٢٣ و(كاشف الغطاء) عام ١٨٣٤ و(المعتمد) عام ١٨٤٥ و(المهدية) عام ١٨٦٧ و(القوام) عام ١٨٨١ والتي عرفت أيضاً بـ(الفتحية) و(مدرسة الايرواني) عام ١٨٨٧ و(الميرزا حسن الشيرازي) عام ١٨٩٣ و(الخليلي الكبرى) عام ١٨٩٨(٢٠).

أما (المدارس الدينية الحديثة) فقد ظهرت الحاجة إليها لازدياد حاجات مدينة النجف الأشرف في تعلم شبابها العلوم والمعارف الحديثة وهي مرتبة حسب نشأتها ما يلي (٢١):

١. مدرسة الشربياني : اسسها الشيخ احمد الشربياني عام ١٩٠٢ وتقع في محلة الحويش ، وفيها عشرون غرفة .
٢. مدرسة الاخوند الكبرى : اسسها المصلح محمد كاظم الخرساني سنة ١٩٠٣ وتقع في محلة الحويش .
٣. مدرسة الخليلي الصغرى : بذل لتشييدها حسين الخليلي عام ١٩٠٤ وهي تقع في محلة العمارة وتبلغ مساحتها ٢٣٠ مترا مربعا .
٤. مدرسة القزويني : اسسها محمد امين الكروي عام ١٩٠٦ ، وتقع في محلة العمارة تبلغ مساحتها ثلاثمائة وخمسين مترا مربعا .
٥. مدرسة البادكوبي : اسسها علي تقي البادكوبي سنة ١٩٠٧ وتقع في محلة المشراق .
٦. مدرسة الاخوند الوسطى : اسسها المصلح محمد كاظم الخرساني سنة ١٩٠٨ ، وتقع في محلة البراق .
٧. مدرسة محمد كاظم اليزدي : اسسها محمد كاظم اليزدي سنة ١٩٠٩ .
٨. مدرسة الهندي : بناها ناصر علي خان من اهالي (لاهور) في الهند عام ١٩١٠ وتقع في محلة المشراق .
٩. مدرسة الاخوند الصغرى : اسسها المصلح محمد كاظم الخرساني سنة ١٩١٠ وتقع في محلة البراق .
١٠. مدرسة البخاري : شيدها محمد يوسف البخاري سنة ١٩١١ وتقع في محلة الحويش ، وفيها احدى عشرة غرفة ، وتسع لسكن اربعين طالب .

و الشريف .

والراجح عندي نتفق مع الشرقي في " ان مدينة النجف كلها مدرسة "(٢٢) . وبالتالي اصبحت " مصدر الحركات الفكرية ومهد العلم " (٢٣).

كانت مناهج العلوم الدينية في تطور دائم، ويشمل ذلك مختلف العلوم، بغية إن يكون خريج تلك المدارس ذا معرفة واطلاع بالتيارات الفكرية الحديثة وهو دافع إلى فتح مدارس دينية حديثة تعني بتلك العلوم .

وفي مطلع القرن الماضي أصبحت مدينة النجف الأشرف بفضل المرقد العلوي الطاهر واحة لتسرب الوعي الفكري، وتنبيه الواعون الى ما يقتضيه العصر من وسائل جديدة لأعداد جيل يضمن لهم الحياة الكريمة، فولدت فكرة فتح مدرسة عصرية لتدريب العلوم الحديثة ،واللغات الغربية كالانكليزية والفرنسية، وتنفيذاً لهذه الفكرة أسست مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية درست المعارف المختلفة والمناهج الإسلامية في وقت واحد لا إن (للمدارس الرسمية) دورها في أدراك تلك المقتضيات. بفضل تلك القدسية والمكانة العلمية التي حظيت بها مدينة النجف ، كان لها الدور في انتقال النتاج الفكري إليها من كل المدن العراقية ، فلأجل التلمذة والتعلم هاجر إليها العشرات من الطلاب العراقيين بدوافعهم ، وميولهم ، وأدبهم ، وأفكارهم ، فأوجدوا فيها حركة فكرية تمتاز عن الحركة الفكرية في أمهات المدن العراقية مثل البصرة والموصل وبغداد (٢٤).

كان لازدهار حركة التعليم أثره الفاعل في أيجاد مكتبات تحتضن أولئك المتعلمون، وتعمل على زيادة الوعي الفكري لدى النجفيين وتقسم إلى (خاصة وعامة) فالخاصة هي تلك المكتبات التي تختص بمدرسة معينة فيها المخطوطات والوثائق، أما (العامة) فهي المكتبات التي تفتح للناس بشكل عام، وهدفها توفير المصادر والمراجع المختلفة ،وأغلب هذه المكتبات وقفية، وهي (مكتبة الإمام علي "عليه السلام") وتسمى (الحيدرية) و(الخزانة العلوية) و(مكتبة الصحن) يرجع تاريخها إلى القرن العاشر الهجري، (والمكتبة الحسينية) والتي أسست عام ١٩٠١ و(مكتبة الإمام كاشف الغطاء) و(مكتبة جمعية الرابطة الأدبية) سنة ١٩٣٢ و(مكتبة أمير المؤمنين) عام ١٩٣٤ و(مكتبة منتدى النشر) عام ١٩٣٥ و(مكتبة صاحب موسوعة الذريعة) عام ١٩٣٥ و(المكتبة العامة) عام ١٩٣٦ و(مكتبة جمعية التحرير الثقافي) (٢٥).

ثالثاً:تسميات مدينة النجف

ظهرت لمدينة النجف الأشرف تسميات متعددة فسميت (النجف) من بحريسمى (ني) الا انه جف فقيل (ني جف) أو (نيجف) ثم صار للتخفيف على الألسن (نجف)، وقيل إنها اشتقت من كلمة (نج) التي تعود لأهل الحيرة القدماء، يطلقونها على هذا المكان الذي يستسقون منه الماء، وبسبب جفافه أطلقوا عليه (نج جف)، ثم خفف على الألسن فاطلق (نجف)، أو من (إن جف) وهي التسمية التي تطلق على المكان الذي يكثر فيه (صرير الماء) (٢٦).

وسميت المدينة بأسماء أخرى منها (الغري) وهي من (الغريان) وهما بناءان طويلان هدم أحدهما وبقي الآخر فسمي المكان بأسمه، و(الغري) هو الحسن من كل شئ، والأمر المشجع للميل في وجود هذا الاسم هو تسمية العرب لهذا المكان باسم آخر هو (خد العذراء) بسبب نمو عدد من أنواع الزرع الجميل (الاقحوان والقيصوم والشقائق والشيح)، فضلاً عن أسماء أخرى هي (المشهد) وهو مجمع الناس ومحضرهم عند مرقد أمير المؤمنين (علي بن ابي طالب)(عليه السلام) وسميت (بالظهر) وهو المكان المرتفع عما حوله حتى سمي (ظهر الكوفة) و(ظهر الحيرة) وهو المكان الذي تقع خلفه مدن (الكوفة والحيرة) بل سمي هذا المكان (نجف الكوفة) و(نجف الحيرة) أي المكان المرتفع الذي تقع خلفه تلك المدن(٢٧).

وسميت مدينة النجف الأشرف (النجفة) ويقصد بها شبيه التل، و(الملطاط) أي ساحل البحر، و(بانقيا) وهي كلمة نبطية يقصد بها الغنم وهي الثمن التي اشترى بها نبي الله (ابراهيم) (عليه السلام) هذا المكان، فضلاً عن أسماء أخرى (دومة الكوفة ودومة الحيرة والجرف والطف والمجاز والربوة وطور سينا والجودي وشاطئ البحر والجيب الاحمر وساحل بحر الملح وواد السلام ومقبرة براثا والثوية) وكلمة الأشرف هي صفة المدينة التي أخذتها من قبر الأمام (علي بن أبي طالب) (عليه السلام)(٢٨) .

والمجالس العراقية تعالج ظواهر المجتمع وعلله في إطار تحركه الفكري . لأنها كانت المتنفس الكبير للتعبير عن الأماني الوطنية والقومية ، وتحاول إحياء وبعث التراث العربي الأصيل بصياغة منطلقات جديدة للتخلص من الواقع الفاسد (٢٩).

وتعد الدواوين أو ما تسمى بالمجالس واحدة من العوامل القوية التي ساعدت على بلورة الوعي الفكري السياسي لدى أبناء النجف ، ففي هذه المجالس تطرح الأفكار ، والآراء السياسية المختلفة القديمة منها والحديثة ، وما تصلح مع تطور الزمن. حتى أعتبرها النجفيون وسائل جبارة تعمل على تنوير الأذهان ، كان دور المجالس النجفية متميزه حيث أثمرت رجالات ثقافية علمية سياسية واعية ومدركة للظروف والحقائق التي يمر بها المجتمع فلا تخلو أسرة علمية في مدينة النجف من أن يكون لها منتدى أدبي أو مجلس ، والى مثل هذه المجالس يعود الفضل الأول في بذرة الاستقلال ، ووضع أول خطة لكيفية المطالبة باستقلال العراق ، والى مثل هذه المجالس انبعثت فكرة ثورة النجف الأولى في وجه الإنكليز . وأشهر المجالس النجفية "مجلس آل الجزائري " الذي سعى الى تحقيق النزعة الإصلاحية ، وكان له الدور الكبير في تكوين الرأي العام وتوجهه ،والوقوف من القضايا السياسية أو غيرها ، كقيام مسألة (المشروطة في ايران ١٩٠٥) ، وحتى (الثورة الدستورية العثمانية ١٩٠٨) ، حتى كون رأيا" سياسيا" في المطالبة بالحكم اللامركزي للعراق في عهد السيطرة العثمانية(٣٠). ومن هذه المجالس(٣١) مجلس محمد صالح الجزائري(٣٢).

الخاتمة:

ظهر للباحث جملة من الاستنتاجات هي:-

اولاً: كان للمرقد العلوي الطاهر فضل في التنمية الفكرية عند الفرد العراقي بالاضافة الى تنمية القيم الروحية، وبمجلها اصبحت قيم حضارية واعية التي أفرزت جملة من المؤهلات المساعدة في تطور تلك القيم من المكانة الدينية الى الحوزة العلمية الى النمو الثقافي والسياسي المتحضر .

ثانياً: ان المؤهلات الحضارية تنمو وتتطور يوماً بعد يوم اذا ما تم الاهتمام بتلك المؤهلات وعلى رأسها المرقد العلوي الطاهر لا أبنية فحسب بل تعزيزه بمؤسسات تنموية للفكر والثقافة من المكتبات الى المراكز البحثية والملاحق التعليمية وغيرها فضلا عن منحه الحرية الكاملة في ممارسة الأنشطة الاجتماعية والسياسية .

ثالثاً:ان دور المرقد العلوي الحضاري يكتمل اذا ما مُنح دوره الحضاري الذي قاده فيما مضى وعكس ذلك وتقليص دوره بالعبادة حصراً فأنه مضيعة لادوار حضارية وخسارة فادحة للعراقيين وللإنسانية بشكل عام .

رابعاً: افرز المرقد العلوي الطاهر مؤسسات حضارية عالمية خدمت الإنسانية من المرجعية الدينية الى الحوزة العلمية الى المدارس والمكتبات والمؤلفات وغيرها فضلاً عن ادوار تاريخية مشرفة ومحطات جهادية رائعة كلها اثبتت ان دوره السابق افضل من الاربعين سنة الاخيرة من القرن الماضي .

خامساً : ان المؤسسات الحضارية وتاريخ هذا المرقد وضع مدينة النجف بمثابة كعبة للعراقيين وهذا الدور بدون شك يتدهور إذا ما فقد الاهتمام به وعدم تطويره ودعمه ،مذكرا أنها مدينة للإنسانية دون مجتمع محدد بذاته.

الهوامش:

(١) ديوان محمد سعيد الحبوبي ، جمع وتقديم عبد الغفار الحبوبي ، الكويت ، ١٩٨٠ ، ص ٢٢ ؛محمد علي كمال الدين، النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨، تحقيق وتعليق كامل سلمان الجبوري (بيروت: دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥) ص٤٦-٤٧.

(٢) جعفر باقر محبوبه ، ماضي النجف وحاضرها (النجف:مطبعة النعمان ، ١٩٥٧) ج٣ ، ص ١٨٧ .

(٣) حسن الاسدي ، ثورة النجف على الانكليز او الشرارة الاولى لثورة العشرين،(بغداد:دار الحرية ،١٩٧٥) ص ٦٢ .

(٤) مقدام عبد الحسن الفياض،تاريخ النجف السياسي ١٩٢١-١٩٥٨(بيروت :دار الاضواء ،٢٠٠٢)، ص٢١٣؛أحمد عبد الله ابو زيد ،محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة ، (بيروت:دار العارف للمطبوعات،٢٠٠٧) ج ١،ص٢٣٧؛ وسن سعيد عبود الكرعاوي،السيد محسن الطباطبائي الحكيم ودوره السياسي والفكري في العراق ١٩٤٦-١٩٧٠،أطروحة دكتوراه،كلية التربية-جامعة القادسية ،٢٠٠٧،ص٧٠؛ جعفر عباس حميدي، التطورات والاتجاهات السياسية الداخلية في العراق ١٩٥٣-١٩٥٨، (بغداد :مطبعة جامعة بغداد،١٩٨٠) ص١٣٨.

(٥) مقتبس من محمد مهدي الآصفي، مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها، (النجف :مطبعة النعمان ،١٩٦٤)ص٨٧-٨٨.

(٦) مقتبس من ناجي وداعة الشريس، ، لمحات من تاريخ النجف الأشرف (النجف الأشرف:مطبعة القضاء، ١٩٧٣)، ج١، ص١٧٧-١٧٨ ؛ محمد حسين علي الصغير، أساطين المرجعية العليا في النجف الاشرف (بيروت :مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣) ص١٠٥-١٠٦؛ وسن سعيد عبود الكرعاوي،المصدر السابق ،ص٧٠-٧١.

(٧) مليحة عزيز حسون الدعمي، الحس القومي في الشعر النجفي المعاصر، ١٩٢٠- ١٩٧٠، اطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة ، ١٩٩٥، ص١٤٦.

(٨) أحرار العراق، انتفاضة العراق الاخيرة (عرض وتحليل)(بغداد:د.ط،١٩٦٢)، ص٥٤-٥٥.

(٩) كاظم الكفائي، بين النجف والازهر ،ط٢(النجف :مط النعمان ،١٩٦٨)، ص٥٥-٥٦.

(١٠) "النجف" (مجلة) النجف الاشرف، ع (١٠) س(٢) ١٩٥٨، ص٢٣؛ أحرار العراق، المصدر السابق، ص٥٦-٥٧، احمد الحسيني،المصدر السابق، ص٨١.

(١١) علي الغروي ،مع علماء النجف الاشرف (بيروت ،مطبعة الثقلين ،١٩٩٩) ص٥٣٤-٥٣٥.

(١٢) محمد باقر البهادلي، الحوزة العلمية في النجف وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠-١٩٨٠(بيروت :دار الزهراء للطباعة والنشر ،١٩٩٣)، ص١٢٢-١٢٦؛جلاوي سلطان عبطان، التيارات الفكرية والسياسية في النجف ١٩٤٥-١٩٥٤،رسالة ماجستير ،معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ،بغداد،٢٠٠٧، ص٣٧.

(١٣) صلاح الخرسان، السيد محمد باقر الصدر في ذاكرة العراق(بغداد :مط الوسام ،٢٠٠٤)، ص ٣٨.

(١٤) حسن العلوي ،عبد الكريم قاسم رؤية بعد العشرين(قم:مكتبة الصدر،د.ت)ص٦٧.

(١٥) العرفان " ، (مجلة) ، صيدا ، آب / ١٩٤٨ ، ج ٨ ، م ٣٥ ، ص ١١٥؛ الشرقي ، علي ، الأحلام (بغداد:الشركة الاهلية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣)، ص ٤٠ .

(١٦) محمد علي كمال الدين، النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨، تحقيق وتعليق كامل سلمان الجبوري (بيروت: دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥) ص٤٦-٤٧.

(١٧) المصدر نفسه، ص٤٦-٤٧.

(١٨) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج١ (بغداد:مطبعة دار الكتب،١٩٧٤)، ص ٦٠ .

(١٩) جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم (بغداد:مطبعة الزهراء، ١٩٦٣)، ج١، ص٣٠٣ ؛ محمد علي كمال الدين، المصدر السابق، ص٦١ ؛ جلاوي سلطان عبطان، المصدر السابق، ص٢٩.

(٢٠) ناجي وداعة الشريس ،المصدر السابق ، ص٣٨ ؛ محمد باقر احمد البهادلي، المصدر السابق، ص١٨١-١٨٢.

(٢١) ناجي وداعة ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٨ . وينظر حسن الاسدي ،المصدر السابق،ص ٣٨ .

(٢٢) طالب علي الشرقي ، النجف الأشرف عاداتها وتقاليدها (النجف الأشرف:مطبعة الاداب، ١٩٧٨) ، ص ٤٢ .

(٢٣) العرفان " ، آب / ١٩٥٠ ، ج ٨ ، م ٣٧ ، ص ٨٦٩ .

(٢٤) جلاوي سلطان عبطان، المصدر السابق، ص٣١.

(٢٥) محمد باقر البهادلي، المصدر السابق، ص١٢٢-١٢٦؛جلاوي سلطان عبطان، المصدر السابق، ص٣٧.، للمزيد من التفاصيل عن المكتبات الخاصة ومؤسسيها، ينظر: محمد باقر البهادلي، المصدر السابق، ص١٢٧- ١٢٨.

(٢٦) محمد حسين حرز الدين، تاريخ النجف الأشرف (قم:مطبعة نكارش، ١٩٩٧)، ص٢٠-٢٢.

(٢٧) محمد حسين حرز الدين، المصدر السابق، ص٢٣-٢٦.

(٢٨) طالب علي الشرقي، المصدر السابق،ص١٠؛ محمد حسين حرز الدين، المصدر السابق، ص٣٣-٤٠ .

(٢٩) علي عباس علوان ، تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ٢ .

(٣٠) جعفر الخليلي ، هكذا عرفتهم،ط٢ (بغداد :مط الراية،١٩٦٨)، ج١ ، ص ٣٧١ .

(٣١) علي الخاقاني ، شعراء الغري أو النجفيات ، (النجف:المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٦) ج٩ ، ص ٢٧٥ .

(٣٢) هو محمد بن صالح بن الشيخ أحمد الجزائري ولد عام ١٨٧٤ م ، عالم جليل وشاعر موهوب وإصلاحي النزعة والفكر قال عنه الخاقاني " تدرع بالجرأة العربية فراح يقاوم كثير من الأفكار المزعومة والآراء غير الناضجة التي تدل على الرجعية والجهل " . ينظر : المصدر نفسه، ص ٢٧٥ ـ ص ٢٩٨ .

الملاحق

ملحق (١) خريطة؛لمدينة النجف الاشرف توضح المدينة القديمة، والمحلات الاربعة التي تحتضن مرقد الأمام علي بن ابي طالب (عليه السلام).

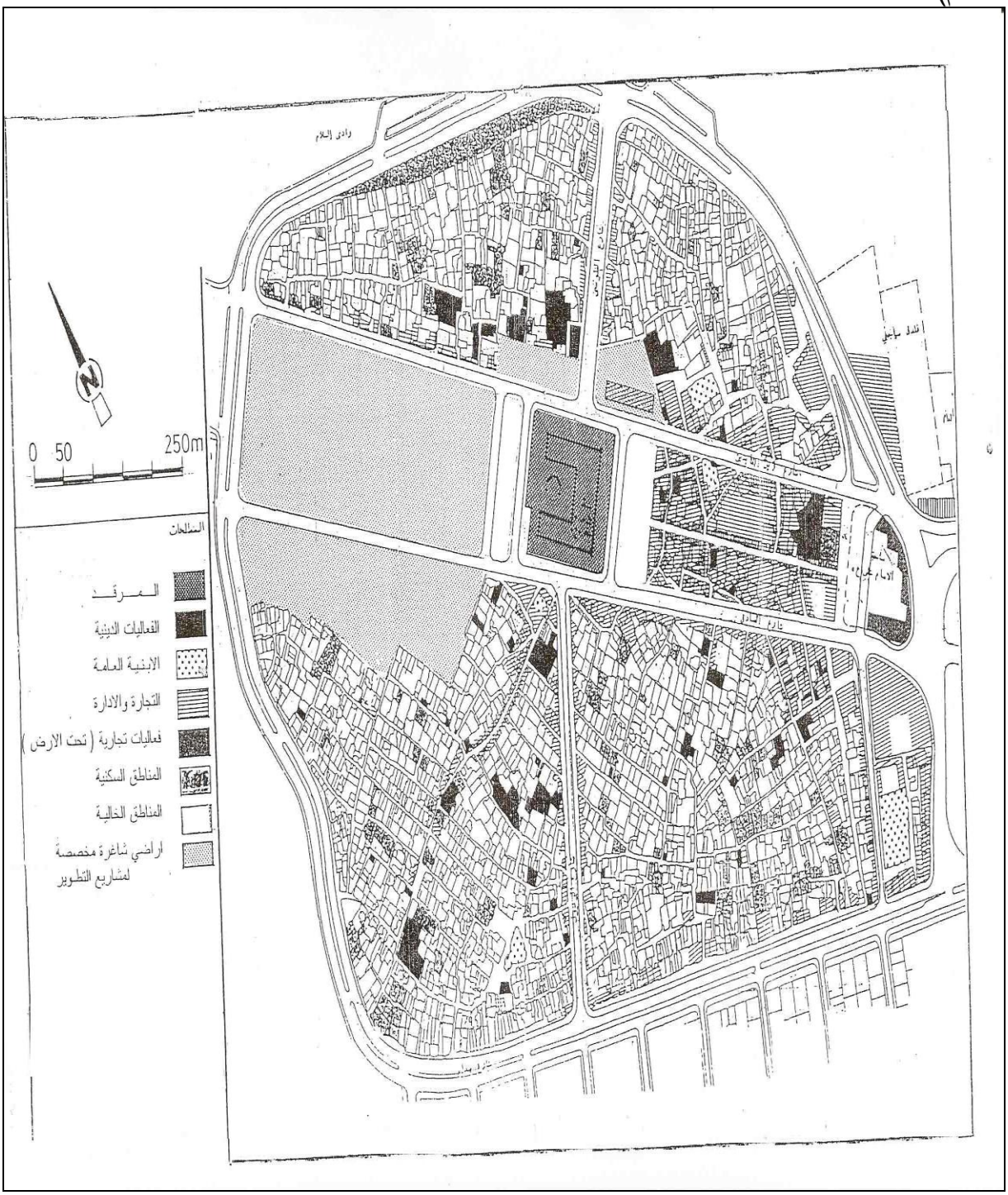

ملحق (٢)صورة من طائرة عسكرية في آذار ١٩١٨ لمدينة النجف تظهر المحلات السكنية الحاضنة لمرقد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) .

مصادر البحث

اولا: المراجع العربية

- أحرار العراق، انتفاضة العراق الاخيرة (عرض وتحليل)(بغداد:د.ط،١٩٦٢).

- أحمد عبد الله ابو زيد ،محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة ، (بيروت:دار العارف للمطبوعات،٢٠٠٧) ج ١.

- جعفر باقر محبوبه ، ماضي النجف وحاضرها (النجف:مطبعة النعمان ، ١٩٥٧) ج٣ .

- جعفر عباس حميدي، التطورات والاتجاهات السياسية الداخلية في العراق ١٩٥٣-١٩٥٨، (بغداد :مطبعة جامعة بغداد،١٩٨٠) .

-حسن العلوي ،عبد الكريم قاسم رؤية بعد العشرين(قم:مكتبة الصدر،د.ت).

-حسن الاسدي ، ثورة النجف على الانكليز او الشرارة الاولى لثورة العشرين،(بغداد:دار الحرية ،١٩٧٥) .

- مقدام عبد الحسن الفياض،تاريخ النجف السياسي ١٩٢١-١٩٥٨(بيروت :دار الاضواء ،٢٠٠٢).

- صلاح الخرسان، السيد محمد باقر الصدر في ذاكرة العراق(بغداد :مط الوسام ،٢٠٠٤).
- طالب علي الشرقي، النجف الأشرف عاداتها وتقاليدها (النجف الأشرف:مطبعة الاداب، ١٩٧٨) .
-عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج١ (بغداد:مطبعة دار الكتب،١٩٧٤).

-علي الغروي ،مع علماء النجف الاشرف (بيروت ،مطبعة الثقلين ،١٩٩٩).
- علي الشرقي ، الأحلام (بغداد:الشركة الاهلية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣) .
- علي عباس علوان ، تطور الشعر العربي الحديث في العراق (بغداد:وزارة الاعلام ، ١٩٧٥) .
- كاظم الكفائي، بين النجف والازهر ،ط٢(النجف :مط النعمان ،١٩٦٨).
- محمد علي كمال الدين، النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨، تحقيق وتعليق كامل سلمان الجبوري (بيروت: دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥) .
- محمد مهدي الآصفي، مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها، (النجف :مطبعة النعمان ،١٩٦٤).
- محمد حسين علي الصغير، أساطين المرجعية العليا في النجف الاشرف (بيروت :مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣)
- محمد باقر البهادلي، الحوزة العلمية في النجف وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠-١٩٨٠(بيروت :دار الزهراء للطباعة والنشر ،١٩٩٣).
- محمد علي كمال الدين، النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨، تحقيق وتعليق كامل سلمان الجبوري (بيروت: دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥).
- محمد حسين حرز الدين، تاريخ النجف الأشرف (قم:مطبعة نكارش، ١٩٩٧).
- ناجي وداعة الشريس، ، لمحات من تاريخ النجف الأشرف (النجف الأشرف:مطبعة القضاء، ١٩٧٣)، ج١.

ثانيا: الرسائل العلمية

- جلاوي سلطان عبطان، التيارات الفكرية والسياسية في النجف ١٩٤٥-١٩٥٤،رسالة ماجستير ،معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ،بغداد،٢٠٠٧.
- مليحة عزيز حسون الدعمي، الحس القومي في الشعر النجفي المعاصر، ١٩٢٠- ١٩٧٠، اطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة ، ١٩٩٥.
- وسن سعيد عبود الكرعاوي، السيد محسن الطباطبائي الحكيم ودوره السياسي والفكري في العراق ١٩٤٦-١٩٧٠،أطروحة دكتوراه،كلية التربية-جامعة القادسية ،٢٠٠٧.

ثالثا: الدوريات
-العرفان " ، (مجلة) ، صيدا ، آب / ١٩٤٨ ، ج ٨ ، م ٣٥ .
- العرفان " ،(مجلة) صيدا، آب / ١٩٥٠ ، ج ٨ ، م ٣٧ .
- "النجف" (مجلة) النجف الاشرف، س(٢) ١٩٥٨ ع (١٠).

رابعا: الدواوين
- ديوان محمد سعيد الحبوبي ، جمع وتقديم عبد الغفار الحبوبي ، الكويت ، ١٩٨٠ .
خامسا:الموسوعات
-جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم (بغداد:مطبعة الزهراء، ١٩٦٣)، ج١.
-جعفر الخليلي ، هكذا عرفتهم،ط٢ (بغداد :مط الراية،١٩٦٨)، ج١ .
-علي الخاقاني ، شعراء الغري أو النجفيات ، (النجف:المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٦) ج٩ .